مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: محبطات التعايش المذهبي وآليات تفعيل العيش السلمي المشترك العراق أنموذجاً
اسم الكاتب: م.د. منى حمدي حكمت
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/365
تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 02:47 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

محبطات التعايش المذهبي وآليات تفعيل العيش السلمي المشترك
العراق أنموذجا

م.د منى حمدي حكمت(*)

الملخص

استهدفت الدراسة بيان واقع التعايش المذهبي في العراق الذي اتسم بالتسامح والإكراه الذي سببته السياسات الحكومية التي تعاقبت على حكم العراق والى يومنا هذا ، ليكون استعراض ذلك الواقع منطلقا نحو وضع آلياتلتفعيل العيش المشترك بينهم . فقد قامت الدراسة على فرضية مفادها : إن التعايش مابين المذاهب الإسلامية في العراق من الممكن تحقيقه طالما أن هناك وشائج قوية تربط بين مكوناته ، وهذه الوشائج من الممكن أن تنتج تعايشا فيما بين المذاهب قائما على السلم .

وقد أوصلتنا الدراسة إلى صحة الفرضية ، بالإضافة إلى استخلاص مجموعة من الملاحظات كان الهدف منها تحديد مواطن الضعف للنهوض بها عبر تبني آليات تعالج مواطن الضعف تلك لتثمر نحو تعايش سلمي حقيقيفيما بين المذاهب الإسلامية في العراق .

المقدمة

إن فكرة التعايش المذهبي في العراق مشدودة إلى الخلفية التاريخية بما فيها من حالات جمعت بين التخاصم والوئام . فالواقع يشير إلى عدم سلاسة ذلك التعايش فيما بين المذاهب الإسلامية ، نتيجة السياسات التي انتهجتها الحكومات الدكتاتورية التي توالت على حكم العراق وعملها على تقريب طائفة على حساب الأخرى، مما احدث فجوة

(*)كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد.

تاريخ استلام البحث : 2019/6/26 تاريخ قبول النشر : 2019/7/7

كبيرة في العلاقات مابين المنتمين لهذه المذاهب ، قادت إلى تناحرات وتقاطعات عنيفة بينهم ، ولدت فيما بعد انعدام الثقة المتبادلة بين أتباع المذهبين .

وتكمن مشكلة الدراسة في أن التناحرات الاجتماعية المذهبية الناجمة عن تكريس ثقافة فقهية مدفوعة بدوافع سياسية ليست وليدة اليوم ، بل ظهرت عبر تراكم تاريخي ، متجاوزا حالات الوئام والانسجام بين أتباع المذهبين . لكن هل يستدعي ذلك استحالة إقامة تعايش حقيقي سلس مابين أتباع المذهبين ؟ وماهي الآلية المعتمدة لإمكانية إعادة اللحمة الوطنية التي مزقتها السياسات الحاكمة للعراق .

وللإجابة على هذه الأسئلة واتساقا مع إشكالية البحث التي طرحناها ، فإننا ننطلق من فرضية مفادها أن التعايش القائم على السلم ضرورة حتمية للمجتمع العراقي المأزوم بعلاقاته مع الآخر المختلف في المذهب ، وممكن التحقيق طالما أن هناك وشائج قوية تربط مكوناته ، وهذه الوشائج من الممكن أن تنتج تعايش حقيقي ودائم ، إذا ماتوفرت له الآليات التي تسهم في تفعيل التعايش السلمي بين أبناء المجتمع العراقي .

ولبرهنة فرضية الدراسة ، سنحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

1_ ماذا نعني بالتعايش السلمي ؟

2_ ما واقع المذاهب الإسلامية في العراق ؟ وهل هناك مساحات للتسامح والإكراه مابين هذهالمذاهب في العراق ؟

3_ ما الآليات المناسبة والكفيلة لمعالجة مخاطر التنوع المذهبي، ولتفعيل مساحات التسامح فيما بين المذاهب الإسلامية في العراق ؟

واستنادا إلى ذلك ، تم تقسيم البحث إلى المحاور الآتية:

المحور الأول : مفهوم التعايش السلمي

المحور الثاني : واقع المذاهب الإسلامية في العراق

المحور الثالث : آليات معالجة مخاطر التنوع في الانتماء المذهبي

المحور الأول : مفهوم التعايش السلمي

تعد مفردة التعايش من المفردات المهمة لوجود الأفراد داخل المجتمعات ، بل أن هذه المفردة هي المفردة الأسمى لتواجد بني الإنسان ضمن الدائرة الإنسانية الواحدة القادرة على البناء الإنساني المتضامن . كما أن هذه المفردة لاتخص مجتمعا دون آخر ، بل هي لكل المجتمعات ، والإنسان بطبيعته يكون متعايشا مع الآخر ضمن مناهج الحوار السباقة .

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش ، التي هي الأصل في اشتقاق المفردة ، إذ نجد في المعجم الوسيط (تعايشوا) أي عاشوا على الألفة والمودة ، (وعايشه) أي عاش معه ، و(العيش) معناه الحياة ،وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل والسكن.(1)

وفي علم السياسة والاجتماع يعني التعايش وجود نواة مشتركة لفئات متناقضة في محيط معين يقبل بعضها آراء البعض وتهضم الخلاف والاختلاف القائم بينهم بعيدا عن مبدأ التسقيط، والتهميش، والأحادية، والتسلط، والعنف، والقهر.(2) ومن خلال الالتزام بمبدأ الاحترام المتبادل لحرية الرأي وطرق تفكيره وسلوكه، وان تطبيق هذا المفهوم يحسم أمورا كثيرة من عقبات ومخلفات فكرية واجتماعية يتمسك بها بعض المتزمتين بالطائفية والمذهبية، وغيرها من الأمور المفتعلة التي تعمل على إثارة وتأجيج الصراع. (3)

وقد يعرض التعايش للانتهاك عندما تنعدم شروطه وتغفل مكوناته عن المساواة والعدالة بالحقوق والواجبات لحد انعدام الثقة في قبول العيش مع الآخر . (4)

وإذا دققنا في مدلول مفهوم التعايش اصطلاحا، الذي شاع في هذا العصر وابتدأ رواجه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتان اقتسمتا العالم إلى معسكرين متناحرين، نجد أن البحث في هذا المدلول، وكما يقول الدكتور (عبد الرحمن التويجري) في مؤلفه (السلام والتعايش مع الأديان) يقود إلى جملة من المعاني المحملة بمفاهيم تتضارب فيما بينها ، ولكن يمكن تصنيفها إلى مدلولات عدة : (5)

أولا: مدلول سياسي ـإيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع ، أو ترويض الخلاف ، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة الصراع بما يفتح قنوات للاتصال والتعامل الذي

تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية، وهذا أول معنى عرف به التعايش كمصطلح ، وربما يكون أكثر التعريفات دقة وموضوعية وواقعية .

ثانيا : مدلول اقتصادي ،يحمل معنى التعاون المستمر في العلاقة المبنية مع الآخر فيالمجال الاقتصادي .

ثالثا: مدلول ديني _ ثقافي _ حضاري ، يحمل معنى التعايش الديني ، أو التعايش الحضاري ، والمراد به التقاء إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من اجل أحلال الأمن والسلام . لذا لابد من علاقة تربطنا مع أهلالأديان تكون مبنية على التسامح . كما أن للثقافة دور في تفعيل التعايش بين الآخرين لما تحمله من معاني سامية تميزها عن غيرها ، فخصائصها تكمن في أنها ظاهرة إنسانية تعبر عن إنسانية الفرد، فضلا عن كونها وسيلة في الالتقاء مع الآخرين .

رابعا: مدلول اجتماعي : يحد من تطرف الصراعات العرقية، ويكسر من شوكة التعصب القبلي ، ويزيل الحواجز النفسية بين طبقات المجتمع المختلفة ، وينمي الشعور بالأخوة الإنسانية ، ويقضي على الحقد والضغينة، ويشيع المحبة والتعاون بين الناس ، ويقوي العلاقات بين الأفراد . وبهذا الصدد يذهب (أيلين بابيت) إلى تعريف التعايش بأنه من الناحية العلمية (إقامة علاقة بين اثنين أوأكثر من الجماعات المختلفة الهوية التي تعيش في تقارب يشمل أكثر من مجرد عيش بعضهم بجانب البعض الآخر، ويشمل درجة معينة من الاتصال والتفاعل والتعاون يمكن أن يمهد التعايش لتحقيق المصالحة على أساس السلام والحقيقة والعدالة والتسامح) . (6) ويعتقد د . (غانم جواد) أن هناك قواعد تحدد التعايش السلمي ومسار العيش المشترك ، وهي :

1- احترام الآخر والاعتراف به والتعامل معه .

2- التوازن بين الحقوق والواجبات دون تمييز .

تعزيز وسائل التعاون والتكافل السياسي والاجتماعي، وتهيئة شروطهما، وقيام مؤسساتهما، وقبول إجراءاتهما.(7)

ومن خلال ماتقدم ، نجد أن التعايش السلمي يستند إلى خمسة أسس ، وهي : (8)

الأساس الأول: الإرادة الحرة المشتركة بحيث تكون الرغبة في التعايش نابعة من الذات الإنسانية، وليست مفروضة تحت ضغوط أيا كان مصدرها ، أو مرهونة بشروط مهما كانت مسبباتها .

الأساس الثاني : التفاهم حول الأهداف والغايات حتى لايكون التعايش فارغا من أي مدلول عملي، ليكون القصد الرئيسي من التعايش هو لخدمة الأهداف الإنسانية ولتحقيق المصالح للناس، وفي مقدمتها استتباب الأمن والسلم، والحيلولة دون قيام حروب ونزاعات، وردع العدوان والظلم والاضطهاد، واستنكارا للسياسات التي تهضم فيها حقوق الشعوب ، ومحاربة العنصرية والطائفية.

الأساس الثالث :التعاون على العمل المشترك لتحقيق الأهداف المتفق عليها ، ووفقا لخطط التنفيذ الموضوعة من قبل الأطراف المتعايشة .

الأساس الرابع :صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام والثقة المتبادلين حتى لاينحرف التعايش عن مساره ، ولاتغلب مصلحة طرف ما على مصلحة الطرف الآخر ، من خلال الاحتكام على القواسم المشتركة والى المبادئ والقيم التي لاخلاف ولانزاع حولها .

الأساس الخامس :الاتفاق على أحلال الحوار بدلا من الصراع ، لاستمرار التعايش بين الأطراف ، وهذا لايتاتى إلا من خلال وجود بيئة ديمقراطية كمسرح للتعايش السلمي لضمان التفاعل الطبيعي بين الأطراف المتعايشة مع بعضها .

خلاصة القول، ان التعايش يعني وجود انسجام وألفة بين الجماعات المتعايشة بإرادتها، رغم تباين انتماءاتهم القومية والدينية والمذهبية ، وتوجهاتهم، وأفكارهم. ولكن في المقابل تجمعهم قواسم مشتركة، متمثلة بالعيش المشترك على ارض واحدة، فضلا عن المصالح والمصير المشتركين، وقيام التعايش على تفعيلها وتغليبها على الخلافات والاختلافات، وصولا إلى منظومة اجتماعية تقوم على التزام الأطرافبمبدأ الاحترام المتبادل لحرية الرأي وطرق التفكير والسلوك بعيدا عن سياسة التهميش ، والتطييف ، والقهر، والعنف.

المحور الثاني :واقع المذاهب الإسلامية في العراق

دخل الإسلام للعراق في الأعوام (13 _ 19) هجرية ، وأصبح مركزا للخلافة الإسلاميةمدة أربع سنوات هي مدة خلافة الإمام على (ع) ، وإمارة أموية ، ثم دارا للخلافة العباسية من أبي العباس السفاح وحتى خلافة المستعصم بالله . (9)

وقد كان أهل العراق من المسلمين متعايشين بوئاميجمعهم مذهب سياسي واحد هو المذهب العلوي ، فكانوا يرون نصرة الإمام علي بن أبي طالب (ع) على معاوية بن أبي سفيان . (10)

ولنا في موقف الإمام علي (ع) من الخلافة بعد وفاة الرسول مايؤكد تسامحه لأجل ترسيخ العيش المشترك السلس فيما بين المسلمين ، وذلك من خلال معالجتهلمسالة الخلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول مُحَمَّد (ص) للحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية التي عدها فريضة شرعية قبل أن تكون قضية سياسية . فعندما رأى جدية خطر الردة على الإسلام ، وإمكانية تعرض كيان الأمة للاهتزاز ، انضوى الإمام علي (ع) تحت راية الخلافة في الوقت الذي يرى نفسه صاحب الحق في الإمامة والخلافة ، لكنه وجد في دفاعه بما يعتقد انه حق له ضرر بالمصلحة العامة في ذلك الظرف ، لذلك لم يطالب بحقه . (11) فعلاقة الإمام علي (ع) بالخلفاء الراشدين لم تكن مبنية على العداوة ، فهو لم ينظر لهم كأعداء ، وبالمقابل فان الخلفاء نظروا له كمعين ومساعد فيما هو لمصلحة الأمة الإسلامية والدين . (12)

وبعد مقتل الإمام علي (ع) انتهت مرحلة الخلافة الراشدية ، وظهور الدولة الأموية الوراثية ، وهنا حدثت واقعة كربلاء المأساوية ومقتل الحسين (ع) في العاشر من محرم عام 61 للهجرة ، بناءا على طلب الخليفة الأموي (يزيد بن معاوية) ، وهو في طريقه للعراق استجابة منه لطلب أهل العراق في تنصيبه خليفة عليهم باعتباره أحق بها من غيره ، ومنذ تلك الواقعة استمر العلويون في أن يكونوا مصدرا للثورات ضد الحكام في مختلف الحقب التاريخية . (13)

ولأجل حفظ الدين ،ومنع الفرقة بين المسلمين ، وصيانة المجتمع من ظلم الأمويين وبطشهم ، فقد استمر العلويون في نشر المبادئ الكريمة التي ينشدها الدين الإسلامي والتي تؤكد على الإيمان الكامل بحقوق الأفراد، ونشر الاستقرار، وبسط العدالة ، والحرية ، والمساواة ، وغيرها من التعاليم السمحة . وقد لاقوا في سبيل ذلك الاضطهاد من قبل الحكام الأمويين ، فزجوا في السجون ودس لهم السم وأريقت دماؤهم ، فكان لابد لهم من القيام بثورة تصحح تلك الأوضاع ، وفعلا تمكن العلويون من أحداث ثورة شملت جميع أنحاء البلاد وأطيح بالحكم الأموي وقيام الحكم العباسي . (14)

وبالعودة إلى سيرة الأئمة الكبار لأهل الحديث أمثال أبو حنيفة النعمان، والشافعي، وانس بن مالك ، واحمد بن حنبل _اللذين عاشوا أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي _ لوجدناهم يتشيعون للإمام علي (ع) ولمبادئه الثورية ، حتى قيل أن الإمام علي (ع) قد بعث بعد موته روح الثورة في المجتمع الإسلامي ليتولاها طائفتان ، هما : الشيعة الذين ثاروا بسيوفهم ، وأهل السنة الذين ثاروا بأقلامهم . وهكذا تكاتف السيف والقلم لإسقاط الحكم الأموي . (15)

والأمثلة كثيرة تؤكد أن معظم أهل العراق (سنة وشيعة) من أنصارالإمام علي (ع) وأهل بيته الأطهار ، منها : أنالإماممالأعظمأبو حنيفة النعمان كان علوي الهوى ، وقد درس الفقه لفترة على يد الإمام جعفر الصادق في الكوفة ، واقرب الناس إلىالإمام موسى الكاظم ، وقد ساند الثائر زيد بن علي زين العابدين ضد الخليفة الأموي(هشام بن عبد الملك) . (16)

وبعد القضاء على الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية شعرالعلويون بخيبة الأمل ، لان أولاد عمهم العباس قد اغتصبوا منهم الخلافة ، وبدا الصراع من جديد بين أولاد العمومة . فعمل العباسيون بعد أن استتب الأمر وتملك زمام الحكم ، جاهدين إلى التنكيل بالعلويين وإبادتهمبأبشع الطرق للقضاء عليهم ، من خلال أبعاد الناس عن الأخذ منهم بالأمور العقائدية ومعالم الدين الإسلامي ، ناهيك عن الرقابة المشددة عليهم. وهكذا وجد العلويون أنفسهم أشبه بالبركان الذي لايهدا ، فتوالت الثورات،

منها: ثورة الحسين، ثم ثورة زيد بن علي، وثورة المختار، وثورة عبد الله بن مُحَمَّد الحسني ، وغيرها من الثورات الأخرى. (17)

وفي عهد الخليفة المأمون توقف اضطهاد الشيعة ، إذ كان المأمون معتزلي شيعي الهوى يميل إلى العلويين ويتسامح مع الشيعة ، وعمد إلى تقريب فقهاء الشيعة إليه في مناصب الدولة ، وهؤلاء تمكنوا من نشر مذهبهم واضطهاد كل من يخالفهم الرأي . وقد سار على نهج المأمون الخلفاء العباسين اللذين أتوا بعده أمثال المعتصم ، والواثق . (18)

وبعد مجئ الخليفة العباسي المتوكل إلى الحكم أعلن الحرب على جميع الفرق الإسلامية واضطهد المعتزلة ، والشيعة ، وغيرهم ، وإقصائهم من مناصبهم التي كانوا عليها في عهد أسلافه من الخلفاء ، كما أمر بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وهدم ماحوله من منازل ومنع الناس عن زيارته ، واستطاع جذب فقهاء السنة وأهل الحديث الذين اسماهم بـ(أهل السنة والجماعة) قسرا ، وهؤلاء رغم محاولات التقرب التي بذلها خلفاء بني العباس قبل المتوكلمنهم ، إلا أنهم لم يتأثروا بهذا الخصوص، وانصرفوا إلى تأسيس العقيدة السنية مع احتفاظهم بتبجيل الإمام علي (ع) ووصيته . (19)

ومن هنا بدا الصراع الطائفي يأخذ لباسا سياسيا ، وبدأت الحكومات العباسية تساند أئمة أهل السنة والجماعة ، وحمل الناس على الأخذ بمذاهب هؤلاء الأئمة وإبعادهم عن المذهب الجعفري ، لإضعاف كيان أئمة أهل البيت، والقضاء على الشيعة اللذين كانوا من أقوى الجهات المعادية للحكم العباسي . (20)

وبعد ضعف الخلافة العباسية سيطر البويهيون الشيعة على الدولة العباسية، وإذلالهم للخلفاء العباسيين، واستفاد الشيعة في عهدهم من ممارسة طقوسهم وشعائرهم بشكل يبعث على الاستفزاز للطرف الآخر مما ولد صدامات بين الجانبين سرعان مايتدخل العقلاء منهم لاطفائها.كما نشطت حركة التأليف عند فقهاء الشيعة، وتكاثر مؤلفو الشيعة ألاثني عشرية، وظهور مؤلفات فيها من الغلو والمبالغة والاستفزاز للآخرين.(21)

وهكذا أصبحت حادثة كربلاء التي يتألم فيها كل أهل العراق هي موسم حدة التفرقة بين المذهبين إلى أن أصبح يوم عاشوراء رسميا من كل عام مناسبة دينية تتجدد فيها الصدامات بين الطرفين .(22)

وبعد أن أصبحت مناسبة عاشوراء تجديدا للفرقة بين أتباع المذهبين لإبراز أقصى حالات الخلاف بينهما ، ومايرافقها من أثارات مدفوعة سياسيا أدت إلى تراكم الأحقاد بينهما . فعمدوا أهل السنة إلىالإعلان عن الحزن لذكرى مقتل مصعب بن الزبير على يد الأمويين ، ومقابل عيد الغدير لدى الشيعة وهو اليوم والمكان الذي أوصى به النبي مُحَمَّد (ص) بالولاية لعلي بن ابي طالب (ع) ، جعلوا أهل السنة يوم السادس والعشرون من ذي الحجة احتفالا بيوم دخول النبي مُحَمَّد (ص) وأبي بكر الصديق الغار . (23)

وقد تغير الحال بمجئ الأتراك السلاجقة الذين كانوا متعصبين للمذهب السني ، وعدم اعتراف الدولة العثمانية السنية بالمذهب الشيعي ، وقد عانوا الشيعة من الظلم والاضطهاد من العثمانيين ، وعاملوهم كمرتدين وخارجين عن الإسلام . (24) فالمذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية ، وله تأثيره على المحاكم الشرعية ، والفتاوى الرسمية ، والتشريعات الحكومية الحديثة التي ظلت متبعة في الدولة العربية الحديثة التي قامت بعد الدولة العثمانية . (25)

وفي العصر الحديث ، وابتداء مع تأسيس الدولة العراقية عام 1921 ، وبدعم من بريطانيا في مواصلة السياسة التي اتبعها العثمانيون ضد الشيعة ، واستحواذ السنة بمفردهم على الحكم والنفوذ دون مشاركة مع بقية مكونات المجتمع العراقي ، بالرغم من المحاولات الإصلاحية لإزالة هذا التمييز الطائفي التي قدمت من قبل الملك فيصل الأول والتي كانت فاعليتها محدودة لإزالة هذا التمييز . (26)

ومن ثم تكرر المشهد ذاته في عهد الجمهورية الأولى، والثانية ، والثالثة ، ولكن لم تصل الأمور في تلك العهود إلى ماوصلت عليه في عهد الجمهورية الرابعة . فقد مارست حكومة البعث الصدامي التهجير القسري للشيعة ، ومصادرة أموالهم مما جعل العداء مستفحلا فيما بين اتباع المذهبين ظهرت نتائجه بقوة بعد سقوط حكومة البعث ، كردود أفعال للسياسات السابقة ، فأصبح استذكار حادثة كربلاء من المبالغة فيها من حيث استعراض الاحتفال بتلك المناسبة في المؤسسات الرسمية والغير الرسمية ، وهذا أن دل على شئ فيدل على رد فعل وتعويض عن سنوات الحرمان من ممارسة تلك الطقوس والشعائر في ظل النظام السابق . (27)

وقد كان لحادثة تفجير الإمامين العسكريين (ع) في شباط من عام 2006، الشرارة التي أشعلت فتيل الطائفية بين أتباع المذهبين ، فعمليات القتل أضحت تجري على الهوية والاسم، وضعف الجهات الأمنية من استتباب السلم والأمن في المجتمع . (28)

ومع كل ماتقدم من محبطات ، فان التعايش القائم على الألفة والتسامح فيما بين أتباع المذهبين تاريخيا وحاضرا كان موجودا خارج نفوذ السلطة . والأمثلة على ذلك كثيرة منها : المشاركة في الأعياد الدينية وحبهم لآل البيت ،كالعزاء الحسيني والمولد النبوي كل على طريقته الخاصة . وبصدد ذلك يشير الدكتور وميض جمال عمر نظمي، انه في أيار من عام 1920 ، جرى عقد احتفالين مختلفين بصورة مجتمعة ، وهما المولد والتعزية .فأمام حشد من العباد قرا المولد من قبل الملا عثمان ، وقرأت التعزية من قبل الشيخ مُحَمَّد مهدي البصير، بمشاركة الشيعة والسنة معا ، ناهيك عن حالات المصاهرة التي قامت بين المذهبين ، وزيارة العتبات المقدسة بكربلاء والنجف ، وزيارة الحضرة الكيلانية وضريح موسى الكاظم الغير المنقطعة من قبل أتباع المذهبين ، ماهي إلا دليل على سعة التداخل ، والتعايش ، والتسامح ، وتقبل الآخر (29)

وهناك أمثلة عديدة لمساحة التعايش الحاضرة بين العراقيين سنتهم وشيعتهم على أساس العراق الواحد ، فنجدهم قد تكاتفوا لأجل دعم استقلال العراق عن بريطانيا من خلال الفتاوى الصادرة من قبل فقهاء الدين من كلا المذهبين والتي تؤكد على وجوب الثورة على المستعمرين ، وكذلك الأحزاب الوطنية التي تأسست بعد عام 1920 ضمت وجهاء من السنة والشيعة متجاوزة لحدود المذهب ، مما يدل على أن البنية الاجتماعية لم تتخندق مذهبيا ، وان شهدت فترة من التوتر الطائفي الذي كان انعكاسا للصراع في البنية السياسية بين الفرقاء السياسيين ، وهو مشهد طارئ واستثنائي ، فالأصل والقاعدة هو التعايش ، والتداخل ، والتسامح بين المذهبين للحفاظ على الأمة الإسلامية.(30)

المحور الثالث : آليات معالجة مخاطر التنوع في الانتماء المذهبي

يعد العراق من بين الدول التي تتميز مجتمعاتها بتنوع وتعدد المذاهب الإسلامية فيها ، والتي مزق أتباعه االأمة الإسلامية نتيجة الصراعات والتناحرات التي قادت إلى العزلة ،

والتقوقع ، والتعصب للمذهب .ويبدو انه كان منجزا من منجزات السياسة في كل عصر من العراق . فتركة الماضي لازالت تدلي بظلالها على حياة الشعب العراقي الذي عانى ولايزال يعاني من هذه التركة ، ولم يجد هذا الشعب من يقوم بتشجيع التعايش فيما بين أفراده سلميا وإعادة بناء المجتمع المدمر نفسيا قبل أي شيء جراء تلك التناحرات ، مما تسبب في حالة من عدم الاستقرار المجتمعي .

وفي هذا الإطار تبرز ثمة معالجات واقعية يمكن الأخذ بها لتحقيق تعايش سلمي مابين المذاهب الدينية الإسلامية وصولا إلى الاندماج الاجتماعي متجاوزا لتلك الخلافات المذهبية ، وذلك عبر مجموعة من الإجراءات ، وهي :

1_ العبور فوق الخلافات المذهبية والتخلص منها ، من خلال اعتماد الاعتدال والوسطية فكرا وممارسة ، والابتعاد عن الطرح ألتعجيزي ذي السقوف العالية ، لأجل نزع الاحتقان المذهبي ، وإيقاف نزيف الدم ، ولقطع الطريق على اللذين يراهنون على القضية العراقية ، مع أمكانية تقنين ذلك قانونيا ،من خلال تشريع قانون يحرم على كل من يخالف منهج الاعتدال والوسطية ويدعو إلى التطرف لمذهب معين . (**31**)

2_ إشاعة قاعدة التقريب الفكري بين المذاهب الإسلامية ، من خلال تعميق التعاون في المشتركات فيما بينهم سواء كانت تلك المشتركات في العقيدة ، أو في الدعائم العملية للدين . فهذه المشتركات تفرض مستوى من الانسجام الثقافي، والحوار المبني على احترام خصوصيات الآخربشكل يحفظ العلاقة المشتركة بين أصحاب المذاهب المختلفة وتجاوزا للخلافات .وهنا يأتي دور المؤسسات الرسمية والغير الرسمية للاضطلاع بهذه المهمة، وذلك من خلال التثقيف وزيادة الوعي بأهمية وحدة الدين، والتحذير من خطورة التشرذم والانقسام، مما يسهم في بناء دولة المواطنة على أساس الحقوق والواجبات، وعدم التمييز والتفرقة بين أبناء الوطن الواحد .(**32**)

3_ الإيمان بان التعدد المذهبي أمرا واقعا اقتضته المشيئة الإلهية ، كما جاء قوله تعالى في القران الكريم ((ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة)) . (**33**) لذا يجب معرفة كيفية التعامل الايجابي مع هذا التعدد في المذاهب ، بما يصون المجتمع من الصراعات واستخدام العنف . (**34**)

4_ أهميةإشاعة ثقافة التسامح وتجذيرها ، مع إيجادآليات بحثية علمية تساهم في نشر مبادئ المساواة والعدل ، وهي من المفاتيح المهمة للتخلص من الخلافات . ومن خلال إشاعة هذه الثقافة نستطيع التغلب على التعصب ، والتمييز ، والكراهية ، وكيفية التعايش والاندماج داخل المجتمع الواحد .

5_ ترسيخ مبادئ الحوار الديمقراطي ، واحترام الرأيوالرأيالآخر ، بعيدا عن أحادية الرأي والتطرف وتكفير الآخر لمجرد المخالفة في بعض القضايا العقدية . أي يجب العمل ضمن الإسلام الوسطي تطبيقا لقوله تعالى ((وجعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون عليكم الرسول شهيدا)) (35) لنتمكن من تغليب مساحات التواصل والتقارب على مساحات التقاطع والتهاجر ، للوصول إلى قناعات مشتركة لبناء تصورات ومقترحات لكيفية مواجهة تلك المشكلات مستقبلا .

6_ عدم المساس بالرموز الدينية في الفضاءات العامة ، ووسائل الإعلام ، وشبكات التواصل الاجتماعي ، وتجريم القذف ، والسب ،والاستهزاء .

7_ العمل على ضرورة تعميق مفهوم الهوية الوطنية الجامعة للهويات الفرعية ، والتحرر من تشرنق الهويات الفرعية ، مع احترام خصوصية كل هوية .

8_ بناء دولة المواطنة المدنية الديمقراطية تعامل جميع مواطنيها بالتساوي في الحقوق ، والواجبات ، وتكافؤ الفرص دون تمييز بينهم ، والتعايش وفق المبادئ والمصالح المشتركة ،ودرء مفاسد الاختلاف والشقاق المضرة بالجميع ، والعمل على تجسير الثقة بين أبناء المجتمع ، تلك الثقة التي زعزعتها الدكتاتوريات المتعاقبة .

9_ العمل الجاد على تقويم ، وإعادة تأهيل وسائل الإعلام ، لاسيما المليئة بالانحرافات السلوكية والفكرية ، لكونها اخطر جهة مؤثرة في فكر الأفراد وعواطفهم ، خاصة إذا وظفت لصالح طرف ضد آخر لنشر مايريد من أباطيل ، وتشويه للحقائق ، وإشاعة للأكاذيب والفتن .

10_ وضع ضوابط للأطر العامة لخطب أئمة الجوامع وعلماء الدين ،لإشاعة المفاهيم الدينية الصحيحة بين أبناء المجتمع ، وطبع الكراسات والكتيبات الحاثة على مناهج التعايش بما يضمن ابتعادها عن تكريس النزاعات التي قد تؤدي إلى التخندق والاقتتال ،

على أن يتم ذلك وفق برنامج رقابي رسمي وشعبي ، يترتب على أثره إجراءات قانونية صارمة بحق المخالفين أيا كان انتماؤهم المذهبي .

11_ العمل على تكثيف الندوات والمحاضرات المشجعة لإقامة تعايش سلمي في الجامعات والمعاهد العراقية ، خصوصا بعد ظهور الفكر التكفيري الإرهابي ، ومحاولته زرع الفتنة المذهبية من اجل ضرب أساسات التعايش داخل المجتمع ، ومحاولة إشراك الأساتذة والطلبة في الجامعات في حوارات مفتوحة ، تطرح من خلالها القيم التي تؤكد على التعايش ، فضلا عن حث طلبة الدراسات العليا في الكليات بتناول موضوعة التعايش في رسائلهم واطاريحهم .

لاشك أن هذه المعالجات والحلول لاتاتي بنتائج مثمرة مالم يكن هناك توحيد في الرؤى والأهداف على المستوى الوطني من اجل الحفاظ على اللحمة الوطنية هذا من جهة . ومن جهة أخرى ، على جميع مكونات المجتمع العراقي العمل على ترصين الداخل العراقي ، من خلال التوجه نحو عوامل الوحدة والتعايش السلمي بين أبناء الوطن ، وهكذا تكون المسؤولية مشتركة بين الدولة والمجتمع ، تلك المسؤولية تتطلب التضامن من اجل النهوض بالأهداف المرجوة .

الخاتمة

في ضوء التعرض في بحثنا الموسوم (محبطات التعايش المذهبي واليات تفعيل العيش المشترك _العراق أنموذجا)، عن واقع ذلك التعايش مابين المذاهب في العراق، نستطيع أن نستشف أو نخلص إلى مجموعة من الملاحظات ذات الصلة بموضوع البحث :

1_ إن المجتمع العراقي منذ الأزل يعد مجتمعا متميزا بالتعدد والتنوع، مع وجود مساحات واسعة من التقارب والالتقاء فيما بينهم حتى أضحى بمثابة نسيج متكامل. لكن هذا النسيج كان عرضة لمحاولات تمزيقه من قبل مختلف القوى التي كانت تطمح في السيطرة على مقدرات هذا البلد، مما أدى إلى انهيار المجتمع، وانشطاره على نفسه وفقا لانتماءاته الدينية والقومية بدلا من الانتماء للوطن، مما افقد التعايش المنسجم فيما بينهم .

2_ لم تتم إدارة هذا التنوع المذهبي وفقا لمبدأ الحقوق . فقد عملت مختلف الحكومات المتعاقبة على حكم العراق في مختلف العهود على تقريب طائفة دون أخرى ، مما أدى إلى انعدام التوافق بين مكوناته ، وهذا بدوره أدى إلى انعدام السلم الأهلي والاستقرار في المجتمع ، والانزلاق نحو الحروب الأهلية التي راح ضحيتها الشعب العراقي ككل .

فالعراق يحتاج في الوقت الحاضر إلى مفردة التعايش السلمي ، وتطبيقها أكثر من أي وقت مضى ، لماينطوي على هذه المفردة من نزعة إنسانية تستحق الاحترام والتبجيل .

ولتعزيز التعايش السلمي ، وترسيخه ، وضمان ديمومته بغية ان يكون تعايشا ايجابيا ، ليعيده إلى حالة من التوازن والاستقرار ، وتلك هي مسؤولية الجميع ، لذا ينبغي التركيز على السبل الكفيلة لإنجاح التعايش السلمي في العراق ، كما ذكرناها سابقا .

Frustrations of sectarian coexistence and mechanisms to activate peaceful coexistence: Iraq as a model

Abstract

The study aimed at demonstrating the reality of sectarian coexistence in Iraq, which was characterized by the tolerance and coercion caused by the successive government policies to govern Iraq and to this day. The study was based on the hypothesis that coexistence between Islamic sects in Iraq can be achieved as long as there are strong bonds linking its components, and these bonds can produce coexistence between the sects based on peace.

The study concluded that the hypothesis is correct, in addition to drawing a set of observations aimed at identifying weaknesses for advancing them through the adoption of mechanisms that address these weaknesses to yield towards a genuine peaceful coexistence among Islamic sects in Iraq.

الهوامش

1_ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج2 ، القاهرة ، دار الفكر للطباعة ، بلا ، ص ص639_640 .

2_وليد المشرفاوي ، التعايش السلمي ثورة لتوحيد المجتمعات ، صحيفة المثقف ، العدد (4350) ، بتاريخ 2018/8/3 ، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع : www .almothaqaf . com/qadayaama-09/42225 .

3_ المصدر نفسه .

4_ المصدر نفسه .

5_ د . خليل حسن الزركاني ، التعايش في الحضارة العربية الإسلامية ، ندوة علمية بعنوان ((سبل تعزيز التعايش والثقافة الوطنية في العراق)) ، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية ، 2012 ، ص ص43_45 .

6_ مُحَمَّد عبد الجبار الشبوط ، خطوات في بناء الدولة الحديثة ، مجلة المواطنة والتعايش ، العدد (1) ، بغداد ، مركز وطن للدراسات ، 2007 ، ص82 .

7_ د . غانم جواد ، السلم الأهلي في العراق ، مجلة المواطنة والتعايش ، العدد (1) ، بغداد مركز وطن للدراسات ،2007 ، ص49 .

8_ علي صالح الطالقاني ، مؤتمرات الحوار والتعايش _ مفاهيم عامة ، ، ينظر شبكة النبأ المعلوماتية على الموقع : www . Annaba .org /news /maqalat / writers / alialtlqiny . htm .

9_ رشيد الخيون ، المجتمع العراقي _ تراث التسامح والتكاره ، ط1 ، بغداد _ اربيل _ بيروت ، معهد الدراسات الإستراتيجية ، 2008 ، ص109 .

10_ المصدر نفسه ، ص ص115_120 .

11_ نجم الدين العسكري ، علي والخلفاء ، النجف ، مطبعة الآداب ، 1380 هجرية ، ص149 .

12_ المصدر نفسه ، ص141 .

13_ د . عبد الخالق حسين ، الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق ، ط1 ، بغداد ، دار ميزوبوتاميا ، 2011 ، ص33 .

14_ الفرق الإسلامية، موسوعة هل البيت (ع)، ينظر شبكة أنصار الحسين على الموقع:

...<aref- details ... https//www ansarh . com

15_ د .علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، ط1 ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، 1380 ، ص232_233 .

16_ د .عبد الخالق حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص34

17_ الفرق الإسلامية ، مصدر سبق ذكره .

18_د .علي الوردي ، مصدر سبق ذكره ، ص 238 .

19_ المصدر نفسه ، ص ص238_242.

20_ الفرق الإسلامية ، مصدر سبق ذكره .

21_ مُحَمَّد مهند مراد أيهم ، 2007/10/2 ، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع:

www . ahl-alquran . com

22_ ابن العربي، العواصم من القوا صم، ص232، نقلا عن: رشيد الخيون، مصدر سبق ذكره ، ص117 .

23_ عز الدين علي (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ ، ص155. نقلا عن: رشيد الخيون ، مصدر سبق ذكره، ص ص118_119 .

24_ د . عبد الخالق حسين ، مصدر سبق ذكره ، ص47

25_ المصدر نفسه ، ص45

26_ د . وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط2 ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1985 ، ص121 .

27_ حسنين إبراهيم توفيق ،النظم السياسية العربية _ الاتجاهات الحديثة في دراستها ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،2005 ، ص60 .

28_ المصدر نفسه ، ص67 .

29_ د . وميض جمال عمر نظمي ، مصدر سبق ذكره ، ص365 .

30_ المصدر نفسه ، ص368.

31_ محسن جاسم ، سبل التعايش السلمي . . . في العراق والعالم . . . . الحلقة 1 الاعتدال ، 2017/1/12 ، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع : https: //kitabat . com

32_ سليم كاطع علي ، آليات تحقيق الاندماج الوطني والتعايش السلمي في العراق ، 2017/11/28 ، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع : https //Annaba . org au > Arabic >...

33_ القران الكريم ، سورة النحل ، الآية 93 .

34_ أسس التعايش السلمي التي وضعتها المرجعية الدينية العليا ، 2017/8/2 ، ينظر شبكة الانترنيت على الموقع :www . knoozmedia .com

35_ القران الكريم ، سورة البقرة ، الآية 143 .

Margins

1-The Intermediate Dictionary, The Arabic Language Academy, Part 2, Cairo, Dar Al-Fikr Printing House, None, pp. 639_640.

2- Walid Al-Mushrifawi, Peaceful Coexistence is a revolution to unite societies, Al-Muthafq newspaper, Issue (4350), on 3/8/2018, the Internet is seen on the website: www. Almothaqaf. com / qadayaama- 09/42225.

3- the same source.

4-The same source.

5- d. Khalil Hassan Al-Zarkani, Coexistence in the Arab-Islamic civilization, a scientific symposium entitled ((ways to enhance coexistence and national culture in Iraq)), University of Baghdad, College of Political Science, 2012, pp. 43_43.

6-Muhammad Abdul-Jabbar Al-Shabout, Steps in Building a Modern State, Journal of Citizenship and Coexistence, No. (1), Baghdad, Watan Center for Studies, 2007, p. 82.

7- d. Ghanem Jawad, The Civil Peace in Iraq, Journal of Citizenship and Coexistence, No. 1, Baghdad, Watan Center for Studies, 2007, p. 49.

8- Ali Saleh Al-Talqani, Dialogue and Coexistence Conferences - general concepts. The News Network looks at the website: www. Annaba .org / news / maqalat / writers / alialtlqiny. htm.

9- Rashid Al-Khayyun, Iraqi society _ the heritage of tolerance and hatred, 1st edition, Baghdad - Erbil - Beirut, Institute of Strategic Studies, 2008, p. 109.

10-Is same source, pp. 115-115.

11- Najm al-Din al-Askari, Ali and the Caliphs, Najaf, Al-Adab Press, 1380 AH, p. 149.

12-The same source, p. 141.

13- d. Abdul Khaleq Hussein, Political Sectarianism and the Problem of Governance in Iraq, First Edition, Baghdad, Mesopotamia House, 2011, p. 33.

14- Islamic Teams, Encyclopedia of Al-Bayt (PBUH), Ansar Al-Hussain Network looks at

aref- details ... https // www ansarh. com> ...

15- Dr. Ali Al-Wardi, and Sadiq Al-Sulatin, 1st Floor, Al-Sadiq Establishment for Printing and Publishing, 1380, p. 2323233.

16 -Dr. Abdul-Khaliq Hussein, previously mentioned source, p. 34

17- Islamic difference, a source previously mentioned.

18- D. Ali Al-Wardi, previously mentioned source, p. 238.

19-Index, p. 238_242.

20- Islamic difference, a source previously mentioned.

21- Muhammad Muhannad Murad Ayham, 2/10/2007, The Internet looks at the website:

www. ahl-alquran. com

22- Ibn Al-Arabi, The Capitals of Al-Quam Deaf, p. 232, quoting: Rashid Al-Khyoun, previously mentioned source, p. 117.

23-Izz al-Din Ali (Ibn al-Atheer), Al Kamil in History, p. 155. Quoted by: Rashid al-Khayun, previously mentioned source, pp. 118-119.

24- d. Abd al-Khaliq Hussein, previously mentioned source, p. 47

25- The same source, p. 45

26- d. Wamid Jamal Omar Nazmi, The Political, Intellectual, and Social Roots of the Arab Independent National Movement in Iraq, 2nd edition, Beirut, Center for Arab Unity Studies, 1985, p. 121.

27- Hassanein Ibrahim Tawfiq, Arab Political Systems - Modern Trends in Their Study, Beirut, Center for Arab Unity Studies, 2005, p. 60.

28- Index, p. 67.

29- d. Wamid Jamal Omar Nazmi, previously mentioned source, p. 365.

30- Is same source, p. 368.

31- Mohsen Jasim, ways of peaceful coexistence. . . In Iraq and the world. . . . Episode 1 Equinox, 12/1/2017, view the Internet at: https: // kitabat. com

32- Salim Kata 'Ali, Mechanisms for Achieving National Integration and Peaceful Coexistence in Iraq, 11/28/2017, see the Internet on the website: <<<Arabic> https // Annaba. org au

33- The Noble Qur'an, Surat Al-Nahl, verse 93.

34-The foundations of peaceful coexistence laid down by the supreme religious authority, 2/8/2017, see the Internet on the website: www. knoozmedia .com

35- The Noble Qur'an, Surat Al-Baqara, verse 143.